مكتبة خير أمة الإسلامية

سلسلة نصيَّة

شرح وأسرار المعنى في أسماء الله الحُسنى

للشيخ / هاني حلمي

الحلقة (١٤) | المحسن سبحانه

شـــرح وأســـرار المعنـى

فـي أسمـاء اللَّـه الحسنـى

الحلقة الرابعة عشر / المحسن سبحانه

للشيخ / هاني حلمي

من تقديم مكتبة خير أمة الإسلامية

المُحْسِن سبحانه هو الذي له كمال الحُسن في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما قال تعالى في كتابه} :اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى]{طه:٨ .. [فلا شيء أكمل ولا أجمل من اللَّه، فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعته، وهو الذي لا يُحَد كماله ولا يوصَف جلاله، ولا يحصي أحدٌ من خلقه ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه..

ليس في أفعاله عبث ولا في أوامره سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة .. إن أعطى فبفضله ورحمته، وإن منع أو عاقب فبعدله وحكمته، وهو الذي أحسن كل شيء خلقه فأتقن صنعه وأبدع كونه وهداه لغايته وأحسن إلى خلقه بعموم نعمه وشمول كرمه وسعة رزقه على الرغم من مخالفة أكثرهم لأمره ونهيه..

وأحسن إلي المؤمنين فوعدهم الحسني وعاملهم بفضله، وأحسن إلى من أساء فأمهله ثم حاسبه بعدله.

الدليل على ثبوت الاسم في السُّنَّة النبوية

اسم اللَّه المحسن لم يرد في القرآن الكريم ولكنه ورد في السنة النبوية مطلقًا يفيد المدح والثناء على اللَّه بنفسه، فقد ورد عند الطبراني وصححه الألباني من حديث أنس : أن رسول اللَّه قال" إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قتلتم فأحسنوا؛ فإن اللَّه محسنٌ يحب المحسنين] "السلسلة الصحيحة.[(469)

وكذلك ورد من حديث شداد بن أوس أنه قال: حفظت من رسول اللَّه اثنتين قال" إن اللَّه محسنٌ يحب الإحسان، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ثمَّ لْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ] "رواه الطبراني وصححه الألباني، صحيح الجامع[(1824)

معنى الإحسان في اللغة والاصطلاح

الحُسْنُ نقيض القُبْح، وحَسَّنتُ الشيء تحسِينًا، أي: زيَّنْتُه وأحْسنتُ إليه وبه.

<u>والإحسان يدورحول ثلاثة معاني:</u>

(1التزيين..

(2الإنعام على الغيـــــر .. كما يُقال: أَحْسَنَ إلى فلان.

(3الإحســـــان في الفعل .. وذلك إذا عَلِمَ عِلْمًا حَسنًا، أو عَمِلَ عملاً حسنًا.

وعلى هذا قول أمير المؤمنين علي" الناسُ أبناء ما يحسنون"، أي :مَنسوبون إلى ما يَعْلمــون ويَعْملون من الأفعال الحسنة.

والإحسانُ: أن يُعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقلَّ مما له،،

قال المناوي" :الإحسان: إسلامٌ ظاهِر، يقيمه إيمانٌ باطن، يكمله إحسانٌ شهودي] "التوقيــف على مهمات التعاريف[(1:40)

فمنزلة الإحسان أعلى من منزلة الإسلام والإيمان .. وتتحقق بأن يستشعر المرء وجــود اللَّه سبحانه وتعالى وقُربه منه في جميع أعماله، أو أن يستشعر رؤيــة اللَّه لــه وهــي منزلــة المراقبة.

قال أبو البقاء الكفوي في كتابه) الكليات" (الإحسان: هو فعل) الإنسان (ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسنًا به كإطعام الجائع، أو يصير الفاعل به حسنًا بنفسه] "الكليات[(1:60)

ويقول الفيروزآبادي" الإحسان من أفضل منازل العبوديّة؛ لأنه لبّ الإيمــان ورُوحُــه وكمالُــه. وجميع المنازل منطويةٌ فيها .. قال تعالى} :هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَــانُ] {الــرحمن: ٦٠[، وقــال رســول اللَّه صــلى اللَّه عليــه وســلَّم" الإِحْسَــانُ أَنْ تَعْبُــدَ اللَّه كَأَنَّــك تَــرَاهُ] "رواه مسلم] "[بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز[(2:465)

درجـــــات الإحســـــان

وقد لخَّص الإمام ابن القيم الإحسان في ثلاث درجات:

(1الإحسان في القصد .. ٢) والإحسان في الأحوال .. ٣) والإحسان في الوقت..

الدرجة الأولى : الإحسان في القصد .. بتهذيبه علمًا، وإبرامه عزمًا، وتصفيته حالاً..

أي: الإحسان في النية، بتنقيتها من الشوائب بألا يكون هناك للنفس أي حظ مـن عملـه .. ويجعل قصده رضـا ربِّه فقط..

ولن تتمكَّن من إصلاح نيتك إلا بالعلم، الذي يكون من خلال:

(1علمٌ باللَّه سبحانه وتعالى .. ٢) علمٌ بصحة الطريق .. ٣) علمٌ بالجزاء عند ربِّ العالمين..

وبعد أن تتعلَّم تلك الأمور، التي تُمَثِل الدافع لك للسير على الدرب والإحسان فيه..

يصدق في العزم على القيام بالأعمال الصالحة .. لينال ثوابها، ويهدد نفسه لأن لم تفعل المطلوب ليكونن لها بالمرصاد..

وعلامة العزيمة الصادقة: النشاط في العمل .. أما الفتور فهو دليل على عدم الصدق،،

وتصفية الحال .. بتنقية القلب من شوائبه وآفاته عن طريق الإكثار من الاستغفار.

فإذا أردت أن تصل إلى هذه المنزلة العظمى عند اللَّه تعالى وتصير من المحسنين: عليك أن تراعي تصفية حالك ونيتك..

وإذا وجدت الأمور تتعثر، فاتهم نيتك .. فإنما يتعثر من لم يُخْلِص،،

الدرجة الثانية: الإحسان في الأحوال .. وهو أن تراعيها غيرةً، وتسترها تظرفًا، وتصححها تحقيقًا .. يريد بمراعاتها :حفظها وصونها غيرةً عليها أن تحول، فإنها تمرُّ مرَّ السحاب، فإن لم يرع حقوقها حالت..

فتغار على قلبك أن يتلف أو يفسد بعد أن وصل إليه الإيمان؛ لأنه لو تقلَّب بعدما ذاق ربما ينتكس إنتكاسة لا يعود بعدها أبدًا .. وتستر أحوالك الإيمانية عن الناس، ولا تريد أن يطلِّع عليها أحدًا سوى اللَّه سبحانه وتعالى..

ويصحح أحواله بحيث يتحقق بأنه على الدرب الصحيح؛ لأن الأحوال مواهب وقد تكون من تلبيس إبليس على النفس في بعض الأحيان .. كالذي يبكي في الصلاة ويظن أن بكاءه كان

من خشية اللَّه، ثمَّ فور إنتهاءه من الصلاة يعود لمعاصيه ولا يراعي نظر اللَّه تعالى إليه .. فحينها يعلم أنه كان حال مغرور، أما الحـــال الصادق فسيورث صاحبه الخشية.

الدرجة الثالثة: الإحسان في الوقت .. وهو أن لا تزايل المشاهدة أبداً ولا تخلط بهمتك أحـــداً، وتجعل هجرتك إلى الحق سرمداً.

المعنى :أن تعلق همتك بالحق وحده ولا تعلق همتك بأحدٍ غيره .. أي تحافظ على وقتـــك؛ لأن وقتك هو رأس مالك وستُسأل عنه .. فتَغير أن يضيع هذا الوقت دون الوصول.

معنى الاسم في حق اللَّه تعالى

قال القرطبي عن اسم اللَّه المُحْسِن أن" معناه راجعٌ إلى معنى المُفْضِل وذي الفَضل والمنَّان والوهَّاب] "الكتاب الأسنى[(2:414)

وقال المُناوي في قوله" إن اللَّه محسنٌ".. ، أي" الإحسان له وصفٌ لازمٌ، لا يخلو موجـــودٌ عـــن إحسانه طَرْفةَ عين، فلابدَّ لكل مُكوَّن من إحسانه إليه بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد] "فيض القدير[(2:264)

فاللَّه سبحانه وتعالى أحسنَ إلى جميع الخلق بنعمة الإيجـــاد والإمداد، وأنعم على المؤمنين بنعمة أخرى وهي نعمة الهدايـــــة،،

والمؤمن يستشعر إحسان اللَّه سبحانه وتعالى به عندما يخرجه من سجن الشهوات إلى عـــز الطاعة..

ومن سجن الخطايا إلى فرج التوبة..

مصداقًا لقوله على لسان نبيه يوسف ..} وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ] {.. يوســف: ١٠٠]

أنـــواع فضل اللَّه تعالى وإحسانه على الخلق

وللأقليشي توسعٌ جميل في بيان الجود والفضل والإحسان وأنواعه على الخلق، إذ يقول :وذلك ينحصر في ثلاثة أقسام:

(1قاعدة .. ٢) وواسطة .. ٣) ومُتممة.

أما القاعدة: فتشتمل من الإحسان والمن على ثلاث شعب:

(1إخراجه من عدمٍ إلى وجود .. بمقتضى صفة الكرم والجود .. قال } هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا] {الإنسان: ١[

(2بعد خلقه تصويره في صورة آدم عليه السلام .. وهي أحسن الصور .. قال تعالى ..{ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ] {.. غافر: ٦٤[

(3جَعْلُه إياه عاقلاً، لا معتوهًا ولا سفيهًا .. حتى يمتاز عن سائر الحيوانات .. قال تعالى } إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا] {الإنسان: ٣[

أما الواسطة فهي للقسمين رابطة، ويشتمل من الإحسان والإنعام والمنِّ على ستِ شُعَب:

(1هدايته إياه للإسلام .. وهذا أعظم الإحسان والإنعام، وهو المراد بما ذُكِرَ في القرآن من الهدى والنور، والشَّرح للصدور، وغير ذلك من هذا النوع.

(2جَعَله من أمة محمد .. خير الأنبياء وخير الأمم، قال تعالى } كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ] {..آل عمران: ١١٠[، أي :كنتم في الغيب حتى خرجتم إلى الوجود على وفاق العلم.

(3إحسانه إليه بأن حفظ كتابه العظيم حتى يكون مُعبِّرًا عن كلام ربِّه بلسانه، وراغبًا إليه بجنابه .. وهذا من أعظم إحسانه، كما قال ابن عباس في تفسير قول اللَّه} قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ] {يونس: ٥٨[، إنه القرآن.

(4علَّمه بعد حفظه من معانيه، ومن شريعة نبيه ، ومن حقائق علمه أثرًا ونظرًا .. وقد قال تعالى ..} يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ] {.. المجادلة: ١١ .. [وأعظم العلم؛ العلم بالقرآن، فكل ما شغلك عن القرآن فهو مشغلة.

(5ما أحسنَ به إليه، وأنعم عليه من: العمل بما عَلِم .. وهذا هو ثمرة العلم، وقد قال تعالى ..} إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] {.. فاطر: ٢٨.[

(6إحسانه إليه وتوفيقه حتى يَنْشرَ ما علم في عباده .. ويكون نور بلاده، يُستضاءُ بسراجه، ويُقْتفَى واضحَ منهاجه..

وأما المتممة: فهو ما أنعمَ به عليه، وأحسنَ إليه، من إظهار عوارف وإدرار لطائف، شرفَ بها نوعه، وأكمل بها وصفه، ويشتمل على أربع شُعَب:

(1ما أنعم به عليه من: كمال الصورة، واعتدال الخِلقة، وفصاحة اللسان، وسلامة الهيئة من تشوهٍ أو نقص عضوٍ .. وهذه نعمة من اللَّه عليه ومن لطفه به.

(2ما أنعم به عليه: من انتظام الحال واتساع المال .. حتى لا يحتاج إلى أحدٍ من الخلق في اكتساب الرزق، ويحتاج إليه غيره، فيعُمهم خيره .. وهذه نعمةٌ يجب شكرها، إذ ليس كل أحدٍ يُعطاها.

(3ما أنعم به عليه: من عُصبة وعشيرة .. وهي الرفقة الصالحة التي تأخذ بيده وتحوطه من وراءه وهي مرآة لنفسه؛ فتبصره بعيوبه وتكن عونًا له على الطريق.

(4ما يُنعم به عليه من المرأة الصالحة الموافقة، فتسكن إليها نفسه .. وقد قال رسول اللَّه" إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة] "رواه ابن ماجه وصححه الألباني[(1855)

(5ما أنعم عليه من صحة الجسم وفراغ البال .. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ" نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ؛ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ] "صحيح البخاري[

حظ المؤمن من اسم اللَّه تعالى المُحْسِن

المنزلة الأولى: الإحسان مع اللَّه تعالى..

يقول اللَّه تعالى } وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ] {.. القصص: ٧٧ .. [راقب ربَّك الوهاب المنَّان المُنْعِم عليك في كل وقتك، ولا تنس ذلك..

والطريق لأن تكون محسنًا مع ربِّكَ .. يبدأ بـــ::

(1الإخلاص .. وذلك بأن تضع الآخرة نُصب عينيك، تذكَّر دائمًا أبدًا أن هناك جنَّة ونـــار وأن الموت آتيـــك لا محالة.

(2التوازن بين متطلبات الحيـــاة والسير إلى الآخرة .. فاعطِ كل ذي حقٍ حقه .. فعليـك أن تُحْسِنَ في طلب الحلال، كما أحسنَ إليكَ في الإحلال .. وعليك أن تعمل في الـدنيا للآخـرة؛ حتى تبلغ هذا المقام.

(3إتقـــان العبـــادة .. عن أبي ذرٍّ قال" : أوصاني خليلي أنْ أخشى اللَّه كأنِّي أراهُ، فإنْ لـم أكن أراه، فإنَّهُ يراني] "جامع العلوم والحكم .. [(4:49)فتحتاج أن تتعلم الفقه؛ لكـي تكـون عبادتك على هدي النبي .. وغيرها من العلوم التي تعينك على الإحسان فـي عبادتـك للَّه تعالى.

(4المراقبـــة .. لذلك حينما سُئِل النبي عن الإحسان، قال" أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فـإن لم تكن تراه فإنه يراك] "رواه مسلم[

(5الشكر للَّه تعالى .. فهل جزاء كل تلك النِعَم التي أحسن اللَّه تعالى عليك بها إلا الشكر له سبحانه؟

(6مواجهة المُلِمات بالصبـــر عليها .. قال تعـالى} وَاصْـبِرْ فَـإِنَّ اللَّـهَ لَـا يُضِـيعُ أَجْـرَ الْمُحْسِنِينَ] {هود: ١١٥[

(7مجـــاهدة النفس .. بكظم الغيظ ومحاربة الشُح وكبح شهوة الانتقـــام، يقول اللَّه تعالى} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] {آل عمران: ١٣٤ .. [فمجاهدة النفس لتحقيق تلك الأمور، من علامات إحسـان العبـد.

(8الجهـاد في سبيل اللَّه .. كما في قول اللَّه} وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْـدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] {العنكبوت: ٦٩[

المنزلة الثانيـــة: الإحســـان إلى الخلق..

(1بتعليمهم ما ينفعهم في دينهم، ويكون سببًا في نجاتهم في الدنيـــا والآخـرة .. مـن علوم الكتاب والسُّنَّة وفقه السلف، وإرشادهم إلى طرق الخيرات والقربات، وتحذيرهم مسالك

الشر والهلكات .. يقول اللَّه سبحانه وتعالى } لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] {آل عمران: ١٦٤[

(2حُسن معاملة الضعفاء منهم .. كالإحسان إلى اليتيم، يقول اللَّه تعالى} وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] {.. الأنعام: ١٥٢[

(3دفع الخصومة والخلافات .. يقول اللَّه} وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ] {فصلت: ٣٤.. [

فأحْسِن تعاملك مع الخلق، بداية من رد السلام إلى آخر ما جاء به الإسلام..

ولا تعامل الناس بمعاملاتهم، وإنما عاملهم بما تحب أن يعاملوك به وبما تحب أن يراك اللَّه عليه..

وإذا وصلت إلى منزلة الإحسان مع اللَّه ومع الخلق، فأبشِر بخيري الدنيا والآخرة..

فـ ..} إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] {البقرة: ١٩٥[

وأبشِر بالفردوس الأعلى؛ فإنها مثوى المحسنين } .. لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ] {الزمر: ٣٤[

نسأل اللَّه تعالى أن يجعلنا من عباده المحسنين،،